التصوف في ماليزيا وآثاره على الدعوة الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية

الدكتور جميل هاشم[1]

تمهيد

في الحقيقة إن تعاليم التصوف جاءت إلى ماليزيا مع مجيء الإسلام نفسه، لأن الإسلام عندما يصل إلى مكان ما، يصل بشكله الشامل وصورته الكاملة دون تجزئة. ولقد قام الدعاة المسلمون بنشر العلوم الإسلامية بأنواعها المختلفة والتي تشمل الفقه والتوحيد والأخلاق والتصوف، فلا غرو إذا كان يعتقد إن التصوف وتعاليمه قد دخل إلى ماليزيا مع دخول الإسلام نفسه [2]. وفي هذا الشأن يرى الدكتور سيد محمد نجيب العطاس أنه قد تم تعريف شكل من اشكال التصوف في العالم الملايوي في نفس الفترات التي تم نشر الإسلام فيها والتساوي في الزمن بين مجيء التصوف لا يعني أن التصوف الإسلامي والإسلام شيئان مختلفان بل إن الإسلام والتصوف شيء واحد[3].

---

(١) الأستاذ المساعد ورئيس قسم أصول الدين ومقارنة الأديان كلية معارف الوحى والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(٢) سليمان إبراهيم عمر: الطرق الصوفية في ماليزيا وأثرها على الدعوة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، رسالة ماجستير المقدمة إلى كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم البري، ١٩٩٦ م/١٤١٧ هـ، ص ١٥٦.

(٣) الأستاذ الدكتور سيد محمد نجيب العطاس، جانب من جوانب الصوفية: التصور والتطبيق العملي لدى الملايويين، باللغة الانجليزية، ص ٢١.

وكذلك الأستاذ الحاج وان محمد صغير بن عبد الله، خبير المخطوطات الملايوية يرى بأن التصوف الإسلامي قد وجد في ماليزيا مع انتشار الإسلام نفسه[١] ولكن لا نستطيع أن نحدد متي وصل علم التصوف إلى ماليزيا بشيء من الدقة. إنه حتى الآن لا يزال أمرا مختلفا فيه لدى المؤرخين والباحثين لعدم توافر المصادر المكتوبة أو المذكرات التاريخية عن هذا الأمر بوضوح. ولذلك قال الدكتور أنكو إبراهيم بن أنكو إسماعيل[٢]:

"إن مجيء التصوف إلى ماليزيا غير معروف تاريخه بدقة، ولكن مجيئه يربط ارتباطاً وثيقا بما حدث في الدول الإسلامية الأخري من تغييرات وخاصة في دول الشرق الأوسط وسومطرا (الإندونيسية) منذ القرن الثاني عشر (الميلادي) وما بعده، مما أثر في الدول الثالثة سياسيا ودينيا واجتماعيا، تم التعريف بهذه الطرق الصوفية (لأبناء العالم الملايوي) سواء عن طريقة مباشرة من مكة عن طريق الحجاج الملايويين العائدين من هناك، أم (عن طريقة غير مباشرة) عن طريق الدعاة الإسلاميين العرب، والهنود أو الدعاة الفرس".

وهذا الكلام يعني أن دخول التصوف في ماليزيا قد بدأ منذ القرن السادس الهجري الموافق القرن الثاني عشر الميلادي. وذلك راجع إلى أول تاريخ لدخول الإسلام في ماليزيا وهو عام ٥٧٧ الهجري الموافق عام ١١٨١ الميلادي.

وفي قول يرى صاحبه أن دخول التصوف في ماليزيا في عام ٧٠٢ الهجري الموافق عام ١٣٠٣ الميلادي، باعتبار أن هذا التاريخ دخول الإسلام المتيقن والمتفق عليه عند

---

(١) الأستاذ الحاج وان محمد صغير بن عبد الله، خزانة تراث المؤلفات الملايوية، كوالا لمبور: خزانة فطانية، ١٩٩١، الجزء الاول، ص ٣.

(٢) الدكتور أنكو إبراهيم بن أنكو إسماعيل، تاريخ انتشار الطرق الصوفية والتصوف في ماليزيا وموقف المجتمع منها، بحث علمي قدمه في المؤتمر الصوفي على المستوى الفيدرإلى الرابع، سنة ١٩٨٨ م، بقاعة المؤتمرات بالمركز الإسلامي بكوالا لمبور، ص ٢٦.

المؤرخين(١). وأما أول سجل عن انتشار التصوف الفلسفي في العالم الملايوي، فيفيد بأن التصوف قد وصل هنا سنة ١١٦٥ الميلادي عندما جاء داعية إسلامي صوفي يسمى الشيخ عبد الله العارف، حيث جاء من جزيرة العرب(٢) لنشر الإسلام في سامودرا الإندونيسية. وقد كتب كثيرا من كتب تعاليم صوفية مثل كتاب بحر اللاهوت، وفي هذا الكتاب قام بشرح قضية نور محمد والتي كانت من أفكار شيعية شرحاً وافياً.

وكذلك اعتقد المستشرق سنوك هورخرونيه (C. Snouck Hurgronje)، في كتابه عن أتشية (The Achehnese) أنه قد تم تعريف شكل من أشكال التصوف في العالم الملايوي في نفس الفترات التي تم نشر الإسلام فيها (٣).

وجاء في تقرير مؤتمر الصوفية الذي انعقد في عام ١٩٦٠م بمدينة (Pekalongan) وبحضور جماعة من العلماء والمسؤولين يفيد أن الطرق الصوفية قد دخلت إندونيسيا مع دخول الإسلام لأول مرة في القرن الأول الهجري أي السابع الميلادي (٤) ولما كان دخول التصوف في إندونسيا في القرن الاول الهجري، فإن دخوله في ماليزيا أيضا لابد أن يتم في سنوات متقاربة بحكم ارتباط ماليزيا وإندونسيا القوي، فهم شعب واحد.

---

(١) قد اختلف المؤرخون اختلافا بينا في محاولتهم لتحديد الفترة الزمنية لدخول الإسلام في العالم الملايوي وماليزيا. ونطرح هنا هذه التواريخ المختلفة فيها لدى المؤرخين كما يلي:

١- شهر رجب عام ٧٠٢ الهجري الموافق شهر مارس عام ١٣٠٣ الميلادي.

٢- عام ٨١٦ الهجري الموافق عام ١٤١٤ الميلادي.

٣- عام ٥٧٧ الهجري الموافق عام ١١٨١ الميلادي.

٤- عام ٢٩١ الهجري الموافق عام ٩٠٣ الميلادي.

(٢) لا يوجد أي مصدر الذي يحدد منطقة خاصة له.

(٣) الأستاذ الدكتور سيد محمد نجيب العطاس، المرجع السابق، ص ٢١.

(٤) الأستاذ الدكتور أبي بكر أتشية، المدخل إلى علم الطرق الصوفية: دراسة صوفية تاريخية، نشر رمضاني، ١٩٩٣ باللغة الملايوية . ص ٤١٥.

مصادر التصوف في ماليزيا

إن وصول التصوف إلى العالم الملايوي عامة كان من مصدرين، أعظمها هو مكة المكرمة وثانيهما هو الهند. وأما وصولها إلى ماليزيا عامة كان من مصدرين، هما مكة وإندونسيا(١).

أما بالنسبة إلى المكة المكرمة، فكانت في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، مركز العلم الإسلامي يقصدها طلاب العلم من كل الدول الإسلامية وخاصة من دول العالم الملايوي. كاد أن لا يمكن للعلماء الملايويين تلك الايام أن يكتفوا بتلقي الدروس الدينية في العالم الملايوي فحسب، بل لابد من إتمامها وتكميلها في مكة المكرمة.

لقد كان التصوف يعتبر مادة مهمة من مواد الدراسات لدى طلاب العلم الملايويين في تلك الأيام الماضية، وهي من ضمن المناهج الدراسية المتبعة أيام أن كانت مكة المكرمة مركزا للعلم لطلاب العلم من العالم الملايوي، بل يعتبر مادة تقليدية أصولية يرثها الجيل بعد الجيل حتى أصبحت ظاهرة تعبر عن الحاجة الروحانية التي لا تستغني عن التحلي بها عالم من العلماء، فمن هنا كان معظم العلماء الملايويين، مهما كانوا بارعين في علم من العلوم الإسلامية، غير أنهم لا يتركون دراسة علم التصوف دراسة متعمقة، كما لا يتركون ممارسة طريقة واحدة أو أكثر من الطرق الصوفية في حياتهم اليومية، فعلى أيدي هولاء العلماء تعلم الملايويون علوم الإسلام حتى انتشرت العلوم الإسلامية وانتقل التصوف والطرق الصوفية في العالم الملايوي(٢).

---

(١) الأستاذ محمد سليمان بن ياسين، مدخل الطرق الصوفية ومسائلها، أستاذ أصول الدين والفلسفة المساعد بالجامعة الوطنية الماليزية، ص ١٠٤.

(٢) سليمان إبراهيم عمر، الطرق الصوفية في ماليزيا، ص ١٦٤.

وأما الطرق الصوفية المنتشرة في ماليزيا فهي تنشأ من شيخين جليلين وهما الشيخ الجنيد البغدادي والشيخ ابا يزيد البسطامي[1] ويمكن القول بأن الطرق الصوفية الموجودة في ماليزيا كما يلي:

١- الطريقة القادرية التي أسسها الإمام عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ)

٢- الطريقة الرفاعية التي أسسها الشيخ أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨ هـ)

٣- الطريقة الشاذلية التي أسسها الإمام أبو حسن الشاذلي (ت ٦٨٦ هـ) [2]

٤- الطريقة النقشبندية التي أسسها الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري المعروف باسم شاه نقشبند (ت ٧٩١ هـ)

٥- الطريقة الشطارية التي أسسها الشيخ عبد الله الشطاري (ت ٨١٨ هـ)

٦- الطريقة الأحمدية التي أسسها الشيخ سيدي أحمد بن إدريس بن عبد الله الحسني (ت ١٢٥٣ هـ).

هذه الطرق الصوفية كانت سلسلة من التصوف السني، الذي أسسه السادة الصوفية قبل هذا من أمثال الجنيد، والطوسي والقشيري والغزإلى وغيرهم من الصوفية الكبار.

وفي هذا الشأن قال الدكتور أبو الوفاء التفتازاني[3]: "إذا كان التصوف الفلسفي في الإسلام إبان القرنين السادس والسابع الهجريين (اي القرن الثاني عشر

---

(١) محمد سليمان ياسين، مدخل الطرق الصوفية ومسائلها، ص ١٠٣.

(٢) اشتهر أنه توفي سنة ٦٥٦ هـ. أنظر الموسوعة الصوفية، أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، للدكتور عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، بدون التاريخ، ص ٢٢٩.

(٣) النفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ٢٨٥.

والثالث عشر الملاديين) فإن هذين القرنين قد شهد أيضا استمرارا للتصوف السني عند الغزالي، وازدهارا له، وانتشارا واسعا في العالم الإسلامي على أيدي شيوخ الطرق الصوفية الكبار)". فمن أجل ذلك انتشر التصوف انتشارا واسعا في جميع أنحاء العالم ومن بينها العالم الملايوي.

فكان التصوف الإسلامي في عهد الجيل الأول (التصوف السني) يهتم كثيرا بالأخلاق والأداب، ولكن بعد أن تعرضت الأمة الإسلامية لأفكار أجنبية غريبة عنها بدأت تظهر تيارات التصوف الفلسفي الذي يبحث عن مسائل فلسفية كمسألة التجليات، ووحدة الوجود وأخيرا ظهر التصوف في شكل الطرق الصوفية التي تؤثر كثيرا على المجتمع (التصوف الشعبي) وهذا النوع من التصوف بدأ يكسب شعبيته في عهد التخلف الفكري للأمة الإسلامية بعد سقوط بغداد في سنة ٦٥٦ الهجري (١٢٥٨ الميلادي).

التصوف لدى الشعب الماليزي

لقد اهتم المسلمون الملايويون في فترات زمنية ماضية بالتصوف وقضاياه اهتماما بالغا منذ وصوله إلى هذه البلاد، وخاصة لدى البلدين الشقيقين ماليزيا وإندونيسيا. ولعل هذه الاهتمامات البالغة التي يولي بها شعب الملايو بالتصوف ترجع أسبابها إلى بعض العوامل:

(١) منها تأثرهم الكبير بسلوكيات الملايويين القدامى الذين كان معظمهم يسلكون الطريقة الصوفية إلى جانب تخصصهم أو براعتهم في مجال آخر كالفقه وأصول الدين(١).

---

(١) وكان العلماء في المجتمع الإسلامي الملاوي يلقون احتراما فائقا من قبل الشعب والحكام، هذا بالإضافة إلى كون السابقين منهم يهتمون أكثر بالناحية التطبيقية والعملية والأخلاقية على الناحية النظرية وجانب الكلام دونما العمل، مطبقين في حياتهم البومية الأحكام الدينية على أنفسهم

(٢) ظهور القضايا الصوفية المتعددة منذ بداية وصول الطرق الصوفية حتى اليوم التي تشغل جميع المسلمين، كقضية وحدة الوجود وتعاليم منحرفة عن الدين الإسلامي ودعاوي عديدة بشأن الولاية والكرامة، وتعاليم الباطنية المنتشرة عن طريق الدفاع عن النفس الشعبي المخلوط بالأدعية المأثورة واستخدام السحر واستخدام الجن وغير ذلك.

قد حرص العلماء المسلمون المتأخرون بالقضايا الصوفية الدائرة فيما بين المسلمين، بدورهم كالمرجع الأول في أمور الدين. وقد لاحظوا أن هناك أمورا عديدة أثيرت حول الطرق الصوفية، مما أدي إلى جدل ساخن بينهم دون قول فصل من قبل العلماء المتخصصين. وهذه القضايا الصوفية المطروحة لا تجد طريقا إلى حل يجعلها تأخذ حجمها الحقيقي من الدين الإسلامي، فبدل أن تكون قضايا صوفية تشغل بال الصوفية والعلماء، تغيرت إلى قضايا إسلامية عقيدية عامة تهم الجميع.

قد انتشرت الطرق الصوفية المتعددة الأسماء والمصادر، حتى تشمل كل ربوع البلاد، الأمر الذي يفتح بابا واسعا فيما بعد للانحرافات والخرافات والبدع التي لم يأت بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، نتيجة قيام هؤلاء المشايخ الصوفية وترك العلماء التصدي لقضاياها. فمن هنا، كانت الحاجة إلى حركة التصحيح لهذه الخرافات والانحرافات والبدع التي بدأت تفسد عقائد العامة ماسة كبيرة. وليس هناك من يقوم بالمبادرة المشكورة إلى القيام بالتصدي لهذه الخطورة إلا أفراد قليلون، ما لا يغطي الحاجة.

وقد أدركت الحكومة والمؤسسات الدينية مدي خطورة الطرق الصوفية المنحرفة والتعاليم الضالة، على عقيدة المسلمين خاصة وعلى أمن الدولة عموما، وذلك لأنها تؤدي إلى تخريب عناصر البناء الداخلي للمجتمع الماليزي المسلم تعمدا من أصحابها أو

وأهليهم وأسرتهم وفي سلوكياتهم. فإن الناس يتأثرون بالمظاهر والسلوكيات الواقعية اكثر من تأثر بالكلام والنظريات الجافة.

بحسن نواياهم. وإذا ضعف المسلمون وتفرقوا وتشتتوا إلى شتات كثيرة، تكون النتيجة في النهاية الخسر والتخلف وأسوأ ما يخافه المسلمون، هناك كارثة العذاب المنتظر المتيقن عندما ينقلب عليهم الكفار وهم يشكلون ٤٨٪ من السكان وأقوياء إلى حد كبير في مجالات شتي، وخاصة الاقتصاد.

ولعل الحكومة الماليزية والجهات الدينية المسؤولة قد تداركت هذه الخطورة منذ البداية، وأسرعت إلى العمل اللازم لمقاومة هذه الخطورة الأكيدة، فقامت الجهات الدينية العديدة في البلاد بتنظيم المؤتمرات التي تدرس موضوع التصوف والصوفي والطرق الصوفية. فقامت الجامعة الوطنية بتنظيم مؤتمر أصول الدين والفلسفة، وجامعة ملايا بتنظيم مؤتمر الطرق الصوفية، كما قام قسم الدراسات التابع للمركز الإسلامي بكوالا لمبور[١]، بتنظيم المؤتمر الصوفي السنوي.

فمن خلال هذه المؤتمرات وخاصة المؤتمر الصوفي السنوي، يستطيع العلماء والمفكرون والمهتمون بالتصوف والطرق الصوفية أن يجتمعوا للبحث عن القضايا الصوفية المطروحة على الساحة وعلاجها علاجا مناسبا، وطرح المقترحات النافعة لحماية الطرق الصوفية عن الانحرافات والبدع المنهي عنها. وعادة يقوم بعرض البحوث العلمية الأساتذة في الجامعة وأهل العلم.

آثار الصوفية على الدعوة الإسلامية

(أ) دور الصوفية في نشر الإسلام والدعوة

لا يمكن لأحد أن ينكر جهود الصوفية في نشر الدعوة الإسلامية في كثير من بقاع الأرض، وخاصة في ماليزيا، حتى يتحول الشعب الوثني إلى شعب يؤمن بالله ورسوله، ثم يكافح من أجل الإسلام والدفاع عنه. ولو تصفحنا كتب التاريخ لوجدنا أن الإسلام والدعوة الإسلامية قد انتشرت بطريق الصوفية. وعلى سبيل المثال، انتشار الإسلام في

---

(١) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامي.

العالم الملايوي أو آسيا، فقد تم بفضل النشاط المكثف للطرق الصوفية التي تحولت إلى حركة شعبية حتى أصبحت هذه المنطقة إحدي المناطق الأكثر فاعلية في انتشار الإسلام والتصوف(١). وقد لعبت الطرق الصوفية دورا هاما في الحياة الاجتماعية والسياسية للبلاد(٢) وقد ظلت هذه الطرق الصوفية تعمل حتى عصر الشيوعية كمنظمات سرية في سبيل الاستقلال والحرية(٣).

وكذلك انتشار الإسلام في افريقيا مثل في (السنغال، ومالي، وغانا، ونيجيريا) إنما يرجع الشطر الأكبر من الفضل فيه إلى الطرق الصوفية. فكانت الرباطات والزوايا التي أسسها شيوخ هذه الطريقة الصوفية بؤرات لنشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب الوثنية في افريقيا. ومرد هذا خصوصا إلى اختلاط الصوفية بالطبقات الشعبية في هذه البلاد، وعيشهم بين العامة والفقراء، مما أبدي لهؤلاء نماذج تتصف بالتقوي(٤).

ومن الطرق الصوفية التي تعمل في حقل الدعوة الإسلامية في افريقيا الطريقة الأحمدية الميرغنية بقيادة الشيخ محمد عثمان الميرغني، أحد تلاميذ سيدي أحمد بن إدريس، والحركة السنوسية بقيادة محمد بن على السنوسي وهو أيضا من تلاميذ سيدي أحمد بن إدريس، والطريقة التجانية والطريقة القادرية والمهدية بالسودان(٥).

---

(١) الأستاذ مصطفي دسوقي كسبه، المسلمين في آسيا الوسطي والقوقاز هدية مجلة الأزهر، شهر جمادي الآخيرة، ١٤١٤ هـ، رئيس التحرير / الدكتور على أحمد الخطيب، ص ٩٠-٩١.

(٢) الأستاذ مصطفي دسوقي كسبه، الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، هدية مجلة الأزهر شهر ذي القعدة، ١٤١٥ هـ، رئيس التحرير/ الدكتور على أحمد الخطيب، ص ٥٩.

(٣) الأستاذ مصطفي دسوقي كسبه، الشيشان، ص ٦٠.

(٤) الدكتور عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي، الكويت وكالة المطبوعات، الطبعه الاولي، ١٩٧٥، ص ٢٥.

(٥) سليمان إبراهيم عمر، الطرق الصوفية في ماليزيا، ص ٤٤٩-٤٥٠.

وأما انتشار الإسلام في العالم الملايوي عموما وماليزيا على وجه الخصوص، فقد اتفق كثير من الباحثين المسلمين على أن التصوف ورجاله وأصحاب الطرق الصوفية من أسباب انتشار الإسلام السريع وإقبال الناس عليه، منهم الأستاذ الدكتور معطي على[١] والدكتور كسار أديب ماجول[٢]، والأستاذ الحاج وان محمد صغير، وأن عبد الله وغيرهم من الباحثين.

ومن الأدلة الواقعية لدور هؤلاء الصوفية في نشر الإسلام في العالم الملايوي، ثبوت ذكرهم في كتب التاريخ الملايوي بشيء من الوضوح كدور الشيخ عبد الله العارف الصوفي، والشيخ عبد الملك عبد الله (توء فولو مانيس)، والشيخ عبد القادر عبد الرحيم (توء فولو دويونج)، والشيخ السيد عبد الرحمن بن السيد محمد العيد روس والشيخ أحمد بن سعيد اللنقي، والشيخ وان موسي بن الشيخ توان تابل وغيرهم كثير. ولقد بذل الدعاة الصوفيون كل ما في وسعهم لتبليغ الدعوة إلى الإسلام لجميع افراد الشعب.

وخلاصة القول، إننا نشاهد دورهم الهائل في نشر الدعوة الإسلامية في العالم الملايوي ولم ينتشر الإسلام فيه بواسطة الحروب أو إراقة الدماء - كما زعم المستشرقون من أن انتشار الإسلام كان بقوة السيوف - بل بفضل جهود الدعاة الأوائل والصوفية السلمية ومرد هذا النجاح إلى اختلاطهم بالطبقات الشعبية. وإعطائهم نماذجية من التقوي والصلاح، وتقديمهم خدمات اجتماعية، وألوان من البر والإحسان والمؤاساة والمؤاخاة. وبهذا النموذج جعل العديد من سكان هذه المنطقة يعتنقون الإسلام، حتى يتحرروا بفضل الله من قيود الوثنية والشرك، وينتشر الإسلام في أنحائها انتشارا مازال يضرب به المثل[٣].

---

(١) الطريقة والمجتمع في كتاب الطريقة القادرية النقشبندية، للأستاذ الدكتور أحمد منصور، مطبوعة المؤسسات الإسلامية اللطيفة، جاكرت، ١٩٩٠م، ص ٤٠.

(٢) دور الإسلام في تكوين الحضارة الملايويين، للأستاذ محمد عثمان المحمدي، بحث علمي تم مناقشته في المؤتمر الحضاري بالجامعة الوطنية الماليزية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ١.

(٣) التصوف الإسلامي وأثره في التصوف الإندونيسي المعاصر، ص ١٨.

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: "ولعل هذه الجزر أصلح مكان لتقرير الحقائق عن سر انتشار الإسلام بين الأمم التي كانت تدين بغيره قبل وصوله إليها، ففي كل موضع دليل من الواقع على فعل القدوة الحسنة في انتشاره بغير عنف"(١).

وأما مناهجهم في نشر الإسلام(٢) فهي كما يلي:-

١- إنشاء المدارس الدينية والمساجد والقرى العلمية.

من فضل أصحاب الطرق الصوفية في الإسلام، مساهمتهم في إنشاء المدارس الدينية والمساجد والقرى العلمية في اعداد الدعاة في المستقبل. ولذلك نجد كل واحد منهم حريصا على تأسيس مسجد جامع أو مسجد غير جامع، أو بناء القرية العلمية أو أقامة المدرسة الدينية، أو تأسيس المسجد وبناء المدرسة معاً. وان لكل واحد منهم مسجدا غير جامع على أقل ليكون مركزاً العلم.

٢- التاليف والترجمة.

إن معظم العلماء الملايويين يلعب دورا عظيما في التأليف والترجمة في كل فروع العلوم الإسلامية خاصة في الفقه والعقيدة وعلم التصوف.

٣- دعوة الملوك والشعوب إلى الإسلام.

إن الصوفية الأوائل يهتمون بنشر الإسلام بين الشعوب والملوك في العالم الملايوي. وإن إسلام جميع شعب ولاية قدح، كان بفضل دعوة الشيخ عبد الله نازل قدح إلى ملك ولاية قدح، وبإسلام الملك ومن حوله من الأسرة المالكة وكبراء الولاية، أسلم كل الشعب. وكذلك إسلام شعب ولاية ملاك التي تحولت بعد ذلك إلى الإمبراطورية الإسلامية الكبري في العالم الملايوي وأصبحت مركزا للدراسات الإسلامية.

---

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد، الإسلام في القرن العشرين: حاضره ومستقبله، القاهرة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولي، ١٩٥٤م، ص ١٧.

(٢) انظر الأستاذ سليمان إبراهيم عمر، الطرق الصوفية في ماليزيا، ص ٤٦٠-٤٧٥ باختصار شديد.

فبالنسبة لدعوتهم الشعوب إلى الإسلام، فقد وجدناهم كونوا مراكز استقروا فيها، وكانوا مثالا حسنا للتعامل وحسن السيرة، ذوي قابلية للاندماج بالأهلين فأصهروا إليهم، وأسلمت النساء اللائي تزوجن المسلمين. وبهذا بدأوا لمعرفة ميول الشعب وهوايتهم، فاندمجوا بينهم اندماجا، وتثقفوا بثقافتهم، حتى ظلوا محبين عند الناس مما يسيرنهم الطريق ليرشدوهم إلى الإسلام.

٤- المشاركة في النظام السياسي والإداري.

ويمكن القول بأن لا يخلو كل عالم صوفي كبير ملايوي أن يشارك سلاطين البلاد وملوكهك ويساعدهم في أمور الدولة، سواء كالمفتي أو شيخ الإسلام أو الوزير أو المستشار الملكي. وعلى سبيل المثال الشيخ أحمد بن سعيد اللنقي، وابنه الشيخ مرتضي بن الشيخ أحمد من الطريقة الأحمدية في ولاية نجري سمبيلن، والشيخ الحاج وان سليمان بن وان صديق من الطريقة النقشبندية في ولاية قدح، والشيخ عبد الملك عبد الله (توء فولو مانيس Tok Pulau Manis) من الطريقة الشطارية في ولاية ترنجانو، وغيرهم كثير.

وكذلك دورهم في الدفاع عن الإسلام ، فإن هذا الدور الجهادي لدى الصوفية الملايويين هو الدور البارز الذي يخلده تاريخ الأمة الإسلامية في هذه المنطقة. وإن روح الجهاد الإسلامي في العالم الملايوي يعتمد كثيرا على روح الجهاد عند الصوفية(١) وذلك لأن تاريخ هذه الأمة قد سجل لهم مجد الجهاد الديني في الدفاع عن الأرض الإسلامية من اغتصاب الغرب منذ وصولهم حتى أيام الاستقلال. وفي ماليزيا، فقد استعمر

---

(١) وكذلك نجد ان للصوفية فضلا كبيرا في الدفاع عن الدعوة الإسلامية في كثير من الدول العربية والإسلامية والجهاد في سبيلها بكل إخلاص ومن الأمثلة ذلك ثورة السيد عمر المختار ضد الإيطاليين في ليبيا، وهو من أتباع الرباطات المعروفة في المغرب. وكذلك المهدية في السودان ودورها في مقاومة الإنجليز واتباعها في الغالب الصوفية. وكذلك خروج أبي الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية، وهو ضرير متقدم في السن مع سواه من علماء مصر على رأس الجيوس لمقاتلة لويس التاسع الفرنسي، زمن حكم المماليك لمصر، حيث هزموه في معركة المنصورة الشهيرة.

اراضيها الاستعمار الغربي منذ ١٥١١م ابتداء من سقوط مملكة ملاك الإسلامية في أيدي البرتغاليين، ثم الهولنديين، ثم الإنجليز. ففي هذه الفترات نفسها، ازدهرت الدعوة الإسلامية في انحاء العالم الملايوي، كما ازدهرت حركة العلم والتعليم، وظهر كثير من العلماء الملايويين ومنهم العلماء الصوفية وهم جعلوا فكرة الجهاد واحدة من قضايا إسلامية.

ومن أعلام الصوفية الذين لهم فضل كبير في بث روح الجهاد الإسلامي هو الشيخ داود بن عبد الله الفطاني وكان يخوض المعركة بنفسه ويقود الجيش الإسلامى في الجهاد الإسلامي ضد السلطات الكافرة.

وألف مؤلفات كثيرة في الجهاد حتى وصف الدكتور أزيومردي عزرا كتابه (منية المصلي) بأنه كتاب ذو رائحة سياسية مع أنه كتاب يبين فيه أحكام الصلاة(١).

وكذلك الشيخ عبد الصمد الفلمباني، صاحب الكتاب سير السالكين، وهو من شيوخ الطريقة الخلواتية السمانية. وقد شارك هذا الشيخ الصوفي في مجال الجهاد الإسلامي، والدفاع عن شرف الدين، وتحرير الوطن الإسلامي من سيطرة المستعمرين الغربيين.

وروي كتاب سلسلة ولاية قدح، أن الشيخ عبد الصمد قبل وفاته، زار أخيه الشيخ عبد القادر مفتي ولاية قدح تلك الأيام، وصادفت زيارته الظروف الحربية بين الجيوش التايلاندي التي تحتل بعض أراض ولاية قدح، الأمر الذي دفع الشيخ عبد الصمد إلى أن يشارك في المعركة مع كبراء الولاية لتكوين جبهة التحرير، وقد استشهد في هذا القتال مع عدد كبير من الشهداء. (٢).

---

(١) الدكتور ازيومردي عزرا، شبكات علماء الشرق الأوسط وعلماء العالم الملايوي، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) سليمان إبراهيم عمر، المرجع السابق، ص ٤٨٦.

وقد كتب الشيخ الفلمباني أيضا كتابا عن الجهاد، بعنوان: (نصيحة المسلمين وتذكرة المؤمنين في فضائل الجهاد في سبيل الله وكرامات المجاهدين في سبيل الله). ولقد وصفه المستشرق الهولندي بور هوف (Voorhoeve) بأن (الجهاد المقدس) أو الجهاد في سبيل الله من خصوصية واهتمامات الشيخ الفلمباني(١).

وأما المستشرق سنوك هارجوونج (Snouck Hurgronje)، فقد وصف أن هذا الكتاب هو المصدر الرئيسي لكتب أخري للمؤلفين الآخرين حول موضوع الجهاد الذي شهد سلسلات متواصلة من حروب دينية ضد الاستعمار الغربي(٢).

وهذه بعض نماذج الجهاد الإسلامي الذي قدمه الصوفيه الملايويون في الدفاع عن الإسلام والدعوة معاً.

(ب) ظهور التعاليم الصوفية المنحرفة

نورد في هذا الفصل التعاليم الدينية المنحرفة مع ذكر وجيز لجانب من جوانب تعاليمها وأفكارها البارزة. وكان القصد الأساسي هو بيان مدي تأثير التصوف على المسلمين الملايويين في ماليزيا، وخاصة في الجانب العقيدي.

وقد انتشرت التعاليم الدينية المنحرفة لدى بعض الطرق الصوفية كما أن هناك العديد من التعاليم الضالة المنسوبة إلى الإسلام. مصطلح التعاليم الضالة (Ajaran Sesat) هو مصطلح معروف في ماليزيا للدلالة على تعليم معين يخالف التعاليم الإسلامية الحنيفية. ويمكن فهم معاني هذا المصطلح من خلال نقاط تالية:

(١) التعاليم التي لا تستند إلى نص من نصوص القرآن والسنة.

---

(١) الدكتور م خطيب قزوين معروفة الله، دراسة عن تعاليم تصوف الشيخ عبد الصمد الفلمباني، كوالا لمبور، Thinker Library Sdn. Bhd. الطبعة الثانية، ١٩٩١، ص ١٧-١٨.

(٢) الدكتور ازيومردي عزرا، المرجع السابق، ص ٢٨٤.

(٢) التعاليم المحرفة من نصوص القرآن والسنة.

(٣) التعاليم المستنبطة من نصوص القرآن والسنة خطأ (١).

وعرف قسم الشؤون الإسلامية بإدارة وزارة رئيس الوزراء الماليزية، وهو قسم متخصص في دراسة التعاليم الضالة: التعاليم الضالة كل تعليم أو عمل يأتي به مسلم أو غير مسلم بدعوي أنه من التعليم الإسلامية، أو بأنه غير مخالف للتعاليم الإسلامية مع كونه مخالفا لمبادئ العقيدة والشريعة الإسلامية من المذاهب الإسلامية المعتبرة وخاصة مذهب أهل السنة والجماعة (في العقائد) ومذهب الإمام الشافعي (في الفقه والإسلامي) المعمول بهما في هذه الدولة. وأما المصطلحات الأخري مثل التعصب الديني، والتطرف الديني، فلا يعمل بها، لأنها تؤدي إلى المفاهيم الأخري، كما أنها (أي هذه المصطلحات) لا تنطبق مع مضمون تلك التعاليم، فضلا عن أنها تسيء إلى سمعة الدين الإسلامي وتؤثر على انتشار الإسلام(٢).

ويمكننا بعد النظر في المواصفات العامة لتعاليم الصوفية المنحرفة أن نجمع مواصفاتها كلها في النقاط أو القضايا الأساسية التالية(٣):

(أ) الدعوي بأن شيخ الطريقة النبي عيسي، أو النبي خضر، أو الإمام المهدي وغير ذلك.

---

(١) الأستاذ عبد الله فاهم بن الحاج عبد الرحمن، دراسة تحليلية مقارنة بين التعاليم الموجودة في تعاليم التسليم، وتعاليم أحمد لقسامان، وطريقة نقشبندية قادرون يحيي، رسالة الماجيستير المقدمة إلى كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالجامعة الوطنية الماليزية، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الفتاح هارون إبراهيم، المخطوط بمكتبة سري لا ننج بالجامعة الوطنية الماليزية، ص ٣٦٩.

(٢) رسالة (طوائف التعاليم الضالة)، صدر عن قسم الشؤون الإسلامية بإدارة وزارة رئيس الوزراء الماليزية، المركز الإسلامي الماليزي، بكوالا لمبور، ١٩٨٠، ص ٣. وانظر رسالة (مواصفات التعاليم الضالة) ص ١.

(٣) الدكتور عبد الله نحمد زين، المرجع السابق، ص ١١-١٢ بتصرف يسير.

(ب) دعوي حصول الكشف من الله سبحانه وتعالي.

(ت) دعوي الولاية والكرامات.

(ث) دعوي الحصول على المعونة من الله سبحانه وتعإلى عن طريق قاعدة الذكر المعينة.

(ج) دعوي الرفع عن واجبات العبادات المعينة مثل الصلاة، والصيام، والحج وغير ذلك.

(ح) الدعوي بأن الإنسان هو الله والله هو الإنسان.

(خ) استخدام السحر كوسيلة لخداع الأتباع.

(د) دعوى بأن يوم القيامة سيقوم قريبا.

(ذ) دعوي تلقي الطريقة مباشرة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(ر) قبل القبول للعضوية، يجب أن تجرى الامتحانات والاختبارات على المريدين والمريدات في غرفة بانفراد.

(ز) الذكر بصوت مرتفع وفي خلط بين الذكور والنساء.

تعقيب على هذه التعاليم الصوفية المنحرفة

(١) في رأينا، لا يجوز الإطلاق على هذه التجمعات بما فيها من تعاليم فاسدة ومعتقدات باطلة اسم الطريقة الصوفية، بل هي من صميم الفرق الدينية المنحرفة بشكل واضح لا يحتمل أدني الشك.

(٢) وبالتالي، لا يجوز - في عرف ماليزيا خاصة - إطلاق اتهام التصوف والطرق الصوفية بتهمة حمل رسالة التعاليم الضالة، أو الشرك أو الكفر، بل الصوفية

الملايويون قد ساهموا مساهمة كبيرة في التعرف على هذه التعاليم الضالة والفرق المنحرفة بإصدار المواصفات الدقيقة مثلما فعله الشيخ داود بن عمر الليبادي الأحمدي الكلنتاني، ومحاربتها، كيف لا وقد كان بعض المفتين أعضاء مجلس الفتوي هم من أصحاب الطرق الصوفية المعتبرة.

(٣) ويجب أن نعتبر الطرق الصوفية التي تحيي البدع المنكرة التي تحيط بالطرق الصوفية اليوم في كثير من الأقطار الإسلامية والعربية طرقا صوفية منحرفة وضالة ويجب تقويمها وتصحيحها إذا أمكن أو محاربتها إذا أبت العودة إلى خط الإسلام المستقيم. وأما تعميم الحكم على جميع الطرق الصوفية بسبب وجود الانحرافات لدى البعض، فهو حكم جائر لا ينبغي أن يصدر عن مسلم، وذلك لأن هناك كثيرا من الطرق الصوفية المعتبرة.

آثار التصوف في الدين والتقاليد الملايوية

ونود هنا أن نذكر جانبا من من جوانب الآثار التي تركها التصوف في ماليزيا، منها:

(١) الأوراد بعد الصلوات الخمس.

(٢) التهليل.

(٣) البرزنجي.

[١] الأوراد بعد الصلوات الخمس

ومن سمة بارزة للمجتمع الإسلامي في هذه البلاد، قراءة الأوراد أو الأذكار بعد الصلوات الخمس كما أنها أصبحت عبادة وعادة دينية بارزة لهم ولهذه البلاد الإسلامية الشرقية، يتميز بها شعبها المسلم عن بعض المسلمين في دول أخري.

وهذه الأوراد موروثة جيلا بعد جيل من العلماء القدماء[١]، وكان معظمهم من الصوفية أو أهل الطرق الصوفية، لأن الذكر أحد أركان الصوفية الثلاثة ؛ الأخلاق، الأوراد أو الأذكار، والعنصر الفلسفي[٢].

هذه الأذكار والأوراد دليل آخر قوي على قوة تأثير الصوفية على المسلمين الملايويين. كيف لا، وقد أصبحت هذه الأذكار أو الأوراد عقب الصلوات الخمس عادة دينية يومية عامة لدى الشعب المسلم الملايوي هناك في جوامعهم ومساجدهم[٣] ومصلياتهم[٤] بلا استثناء إلا عددا قليلا جدا من مساجد المسلمين الهنود والباكستانيين وهي تعد بالأصابع[٥].

ففي المجتمع المسلم الماليزي، تقرأ مجموعة مختارة من الأوراد جماعيا بقيادة إمام الصلاة بعد كل الصلوات الخمس بصوت جهري متوسط وهي عادة تذكر كاملة

---

(١) أصول الوصول، الأستاذ الشيخ محمد زكي إبراهيم، سلسلة منشورات ورسائل العلشيرة المحمدية، الطبعة الرابعة، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥، ج ١، ص ٢٦.

(٢) انظر فكر الأمة الإسلامية ، ص ١٧٩.

(٣) ولعل هذا أمر يستوقفنا في بعض الأحيان. ذلك لأن هذه الظاهرة وإن كانت موجودة في بعض الدول العربية التي هي مصدر الطرق الصوفية، غير أنها غير شاملة لكل الجوامع والمساجد ، بل تقتصر على بعض جوامع الصوفية . زار الباحثان بعض جوامع الصوفية في مصر العربية ، ولم يجد هذه الظاهرة ، وحتى في يوم حفلتهم الخاصة ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الأثر الصوفي في العالم الملايوي أقوي وأعمق ليشمل جميع الجوامع دون استثناء .

(٤) مسجد صغير غير جامع ولا تصلي فيه الجمعة ويمكن التشبيه بمساجد الزوايا في بعض الدول العربية مثل مصر العربية .

(٥) يخالف الهنود والباكستانيون المسلمون مذهب المسلمين الملايويين السائد وهو مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ويفضلون إبقاء مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه في كل الأمور ، والأمر لا يؤدي إلى أي شيء من الخلافات .

بعد صلاتي المغرب والفجر ومختصرة بعد الصلوات الثلاث الباقية ؛ العشاء والظهر والعصر.

إنه - في المجتمع الإسلامي الملايوي - لا يجوز لمسلم أن يجهل هذه الأوراد أو الأذكار أو لا يحفظها حفظا كاملا أو يخرج من المسجد أو المصلي بعد صلاة الجماعة بدون إتمام هذه الأذكار إلا عند الحاجة. ولذلك كان الشباب المسلم الغيور لدينه حريصا على أن يحفظها حفظا كاملا، بينما كان الشيوخ قد جعلوها عبادة أو أورادا يومية عقب كل صلاة الجماعة ويلازمونها ملازمة جميلة، وكادوا لا يتركونها.

وقد مرت القرون العديدة على هذه الأذكار اليومية بلا اعتراض من قبل العلماء غير أن هذه الأيام تشهد اعتراضا واعراضا من بعض المثقفين الإسلاميين الجدد بشأن هذه الأوراد. إن الاعتراض ليس على ألفاظ الأوراد، وإنما على شريعة الكيفية، وهي الذكر الجماعي والجهر بها، بحجة أن ذلك من البدع التي لم تحدث في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنه أجمعين.

أما في يوم الجمعة، بعد أداء فريضة صلاة الجمعة، فيقرئون بعض الأوراد وسور القرآن، غير أن هذا لا يعم جميع المساجد، بل يقتصر العمل به على بعض المساجد دون الأخري، ولعل السبب يعود إلى طبيعة النظام القائم حاليا حيث تتخذ بعض الولايات يوم الجمعة كيوم العطلة الأسبوعية، بينما تتخذ بعض الولايات الباقية يوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية، مما أدي ذلك إلى استعجال المسلمين بعد الفراغ من أداء صلاة الجمعة إلى أعمالهم وبخاصة الموظفين منهم.

وهذا بلا أدني شك من أثر الصوفية، وقد ذكر الإمام الغزالي رحمة الله الأذكار بعد صلاة الجمعة، قال رحمة الله[1]: فإذا فرغت وسلمت، فاقرأ الفاتحة قبل أن

---

(١) بداية الهداية ، للإمام الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨، ص٥٤ . وقام بترجمة هذا الكتاب العالم الصوفي الملايوي الشيخ عبد الصمد=

تتكلم سبع مرات، والإخلاص سبعا، والمعوذتين سبعا سبعا، فذلك يعصمك من الجمعة إلى الجمعة الأخري، ويكون حرزا لك من الشيطان، وقل قبل ذلك :"اللهم يا غني يا حميد، يا مبدئ يا معبد، يا رحم يا ودود، أغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك ". وزاد رحمة الله تعإلى في "الإحياء": يقال من دوام على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب "(١). وذكر هذا الأمر أيضا الشيخ أبو طالب المكي(٢).

وفي الحديث النبوي الشريف : "أن من قرأ سور الفاتحة والفلق والناس كل سبع مرات، غفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر"(٣).

=الفالمباني وسماه هداية السالكين ، ثم زاد فيه أشياء زيادة على ما في بداية الهداية ، طبعة سمارنج :س.ف. كريا إنسان إندونيسيا ، بدون تاريخ ، ص ١٣٠ . وانظر كتاب (سنجات توحاج ففيه كلام قريب من كلام الغزالي.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين : دمشق : دار الخير، الطبعة الأولي ، ١٤١١هـ /١٩٩٠م، الجزء الأول ، الباب الخامس ، ص ٢٤٥.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ، للشيخ أبي طالب المكي ، تحقيق سعيد نسيب مكارم ، بيوت دار صادر ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٥م، جـ١/صـ١٤٩. وانظر سير السالكين للشيخ الفلمباني : الجزء الاول ، ص٨٢.

(٣) قال الزبيدي: قلت : "أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف ، فقال حدثنا أبو خالد الأحمر عن حجاج عن عون عن أسماء قال :" من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين يوم الجمعة سبع مرات في مجلسه حفظ إلى مثلها"، هكذا نص ابي شيبة في المصنف". انظر اتحاف السادة المتقين ، ٣/٢٧٠. وانظر الكتاب المصنف ، لأبي شيبة ، الدار السلفية ، ٢/١٥٩. وقال السيوطي في الجامع الكبير :" من قرأ بعد الجمعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعذ برب الناس حفظ ما بينه وبين الجمعة الأخري " ، وعزاه لأبي شيبة ، وفيه أيضا "من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات ، أعاذة الله عزوجل بها من السوء إلى الجمعة الأخري "، وليس فيه ذكر الفاتحة .

[٢] التهليل

التهليل لغة مصدر هلل يهلل تهليلا. وقال الليث: التهليل قول لا إله إلا الله [١].

هلل الرجل : قال لا إله إلا الله [٢]. والتهليل في اصطلاح الصوفية إفراد المعبود في كل وجود [٣].

وأما التهليل المقصود هنا والذي يكون عادة من عادات الملايويين المسلمين الدينية في ماليزيا فهو عبارة عن مجلس يذكر فيه اسم الله تعالى بالاذكار المأثورة وقراءة بعض الآيات القرآنية والدعاء جماعيا ويقام لمناسبة من مناسبات منها:

(١) وفاة أحد من المؤمنين بقصد جعل ثواب ما قرئ صدقة على الميت، ثم الدعاء له بالمغفرة، والنجاة من عذاب القبر وفتنته ومن عذاب النار، وإدخاله الجنة وتنعمه بما فيها من نعم خالدة.

(٢) بعد دفن الميت والتلقين [٤] في المقابر.

---

(١) لسان العرب ، مادة هلل، ص٤٦٩١ .

(٢) مختار الصحاح ، مادة هلل، ص٢٩١. والقاموس المحيط ، للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م/ ، مادة هلل ، ص ١٣٨٥.

(٣) معجم مصطلحات الصوفية ، للدكتور عبد المنعم الحفني ، بيروت : دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، مادة تهليل، ص٥٤.

(٤) قال الإمام الغزالي : (يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له) . لباب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، فصل زيارة القبور. وسير السالكين للشيخ عبد الصمد الفلمباني ، الجزء الرابع ص٢٠٦.
التلقين في ماليزيا يعتبر شيئا لابد منه بعد دفن الميت . والمسألة أقرب إلى مسألة فقهية وليست قضايا صوفية بحتة.

(٣) ذكري ميت من أموات المسلمين، مثل ذكري الأربعين، أو ذكري حرة بدون تقيد بتاريخ ولا بأي سبب، وفاء لذكري الميت.

(٤) بعد مجلس قراءة سورة يس جماعة في ليلة الجمعة كل أسبوع، أو قراءة سورة يس بمناسبة النذر، أو لقضاء حاجة من الحوائج، أو مجرد التقرب إلى الله والشكر على نعمه.

(٥) بعد مجلس ختم القرآن للبنين والبنات وخاصة قبل اتمام عقد القرآن(١).

(٦) بعد مجلس قراءة القرآن جماعة.

(٧) في مجلس دعاء السلامة، أو مجلس الشكر بعد قضاء حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة.

(٨) مناسبة إطعام الناس ببعض الأطعمة احتسابا لثواب الله، والتصدق بثواب التهليل على أموات عائلته وأموات المسلمين جميعا، وغير ذلك من المناسبات والأغراض.

ولعل تسمية هذا الحفل بـ(مجلس التهليل) كانت لغرض التأسي بلفظ التهليل "لا إله إلا الله" الذي يغلب فيه على سائر الأذكار والآيات القرآنية، حيث تكرر كلمات

---

(١) يهتم المسلمونه الملايويون بأن يختم أولادهم وبناتهم القرآن الكريم على يد المشايخ أو الاساتذة (مثل في الكتاب في بعض الدول العربية) ولو مرة واحدة في الحياة كي يقرأوا القرآن بانفرادهم قراءة صحيحة، وبعد ختم القرآن، ويدعي الناس إليه. ويمكن إقامة هذا المجلس بعد الختم مباشرة في الطفولة أو يؤجل حتى قبل عقد القران عندما يتزوجون، أو يقام المجلس مرتين معا، وذلك للدلالة على أن العريس أو العروس قد أتم تعلم قراءة القرآن الكريم. وفي هذا المجلس يرتل كل الحاضرين بالتناوب القران مع اتباع الطالب أو العريس أو العروس قراءته من سورة الضحي إلى آخر القرآن. وبعد ذلك يقرؤون أوراد التهليل الذي نحن بصدد الحديث عنه.

التهليل على الأقل مائة مرة، أو أكثر حسبما يراه (شيخ التهليل) أو (خليفة التهليل) مناسبا.

ويمكننا تشبيه هذا الحفل أو مجلس التهليل بحفل المأتم أو مجلس التأبين المقام ببعض الأمصار العربية بمناسبة وفاة أحد المسلمين أو ذكري ميت من أمواتهم، غير أن المضمون يختلف قليلا.

إن مجلس التهليل الذي يقام بمناسبة وفاة أحد من المسلمين أو ذكري أحد أمواتهم قد صار عبادة وعادة دينية بارزة لدى المجتمع المسلم في ماليزيا وجزءا من الحياة الدينية والاجتماعية، يتميز بها مسلمو هذه البلاد الملايوية عن باقي المسلمين في دول أخري، وتلك الأوراد الواردة في التهليل موروثة جيلا بعد جيل وقبيلا بعد قبيل من العلماء القدماء الأجلاء، وكان معظمهم من الصوفية، وصارت هذه الأذكار والأوراد دليلا قويا على قوة تأثير الصوفية على المسلمين الملايويين. كيف لا، وقد أصبحت هذه الأذكار أو الأوراد في التهليل سمة من سمات حياتهم الدينية وعادة دينية عامة يعرفها الصغير منهم والكبير، والعالم والجاهل على السواء.

إنه من المعروف أن الأوراد والأذكار جماعيا وبصوت جهري أصبحت سجية من سجايا الصوفية وطبائعهم في كل عصر ومصر، حتى يندر أن نجد صوفيا بلا أذكار معينة يمارسها كل يوم أو طائفة بلا مجلس ذكر جماعي بصوت جهري يعقدونه مرة أو مرتين في الأسبوع. قال الأستاذ قمر كيلاني في كتابه (في التصوف الإسلامي: مفهومه وتطوره وأعلامه) (١):

لقد أصبح في عرف المسلمين الملايويين أنه يعتبر عيبا لمسلم أن يجهل هذه الأوراد أو الأذكار، أو لا يحفظها حفظا كاملا. ولذلك كان الشباب المسلم الغيور على دينه حريصا على أن يحفظها حفظا كاملا، بينما كان الشيوخ قد جعلوها عبادة يلازمونها ملازمة جميلة عند كل الوفيات.

---

(١) لسان العرب، مادة هلل، ص٤٦٩١.

كما أن المسلمين في هذه البلاد حريصون على حضور المجلس حفاظا على الصلة الاجتماعية والعلاقة الأخوية فيما بينهم، الأمر الذي يعطي للمجلس مزية أخري مهمة - إلى جانب التصدق بثواب الأذكار للميت، والدعاء له بالمغفرة والرضوان، والحصول على الفوز العظيم الأبدي في الدار الآخرة - وهي تقوية العلاقة الأخوية الإسلامية بين أبناء المسلمين، لأنه يضم كل طوائفهم على اختلاف المستويات العلمية والاجتماعية والمعيشية واختلاف المذاهب الفكرية والسياسية. وفي أحيان كثيرة، قد تكون هذه المجالس خير اجتماع ديني أخوي، لما فيه من تناول بعض الأطعمة والمشروبات سويا حتى تتيح لهم الفرصة للتعرف والتحدث فيما بينهم.

[٣] البرزنجي والعقيقة

هناك عادة إسلامية ملايوية في ماليزيا تسمي مجلس "البرزنجي". وهذا المجلس عبارة عن مجلس يقام من أجل الاحتفال بمولود أو مولودة، وذلك لحلق شعر المولود ووزنه بالذهب ليتصدق أبواه بقيمته على فقراء المسلمين، وأداء عبادة العقيقة.

ويضم الحفل عددا من الحضور يقرؤون بعض الروايات من السيرة النبوية المطهرة من قصائد كتاب البرزنجي الذي قيل إنه من تأليف الشيخ السيد أبو جعفر البرزنجي في "مولد سيد الأولين والآخرين"(١)، وهو جزء من كتاب "مجموعة الموالد شرف الأنام "(٢). ثم يقومون معا لأداء بعض الصلوات والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بصيغته معينة نذكرها فيما بعد، ويتم حلق شعر المولود أثناء وقوفهم

---

(١) انظر الأستاذ داود هارون رشيد : جهود علماء إندونيسيا في السنة ، رسالة الدكتوراه ، المقدمة إلى كلية دار العلوم ، بجامعة القاهرة ، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد نبيل غنائم ، ص٣٧.

(٢) وتضمن الكتاب مجموعة من الموالد ؛ شرف الأنام ، برزنجي نثر ، وبرزنجي نظم ، قصيدة البردة الشهيرة للإمام البوصيري ، وأدعية ختم الموالد ، وعقيدة العوام ، وراتب الحداد ، وتلقين الميت ودعاء نصف شعبان ، وغير ذلك.

لأداء الصلوات والسلام، وذلك بأن يحمله أبوه أو أحد أقربائه ويطوف به إلى سبعة رجال من الحضور ليتفضلوا بحلق شعره ولو كان قليلا ليكملوا الحلق بعد الحفل كاملا. وأثناء هذا أيضا يتم توزيع بعض الحلويات أو الهدايا الخفيفة للحضور. ويتم إقامة هذا الحفل في اليوم السابع من تاريخ ميلاد المولود، أو بعد ذلك حسبما يتيسر لأسرة المولود، وذلك مع ذبح العقيقة أو بدون الذبح في بعض الأحيان. وبعد إتمام قراءة الروايات والحلق، ويتم قراءة التهليل الذي سبق ان تكلمنا عنه في المبحث السابق، سواء كان تهليلا طويلا ام مختصرا حسبما يراه الإمام، وفي أحيان اخري بدون قراءة التهليل، واكتفاء الإمام بقراءة الدعاء المخصوص لهذا المجلس، وهو الدعاء المذكور في آخر الروايات من كتاب "البرزنجي". وفي النهاية يطعم الحضور ببعض الاطعمة والمشروبات.

حكم هذه العادة في ظل الشريعة الإسلامية

وبناء على أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالعقيقة وحلق الرأس، كان لابد أن تقرر أن عادة البرزنجي التي تجري في ماليزيا لا تخالف الشريعة الإسلامية. وإن كان هناك بعض الإضافات إلى هذه العبادة، وهي القيام بقراءة بعض الروايات والسيرة النبوية الشريفة، ثم القيام أثناء الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أجل حلق رأس المولود، فالقيام ليس تعظيما لحلق رأسه، بل تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا الأمر - مهما كان أمره - بدعة من محدثات الأمور، غير أنني أري أنه ليس من البدع المنكرة، بل بدعة إضافية.

وأما حكم قراءة الروايات والصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم، فهما أمران لا يتنافيان مع الشريعة الإسلامية، بل المسلم يطالب بأن يعرف سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ويطالب كذلك بأن يكثر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم، في كل أحواله وهيئاته، تعظيما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبا فيه صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة:

من خلال الدراسة يمكن القول بأن التصوف دخل ماليزيا والعالم الملايوي مع دخول الإسلام نفسه، وقد كان ذلك ثمرة الدعوة الإسلامية التى قادها الدعاة الصوفية حينذاك، وخاصة بعد توقف حركات الفتح الإسلامى.

ولا يمكن لأحد أن ينكر جهود الصوفية فى نشر الدعوة الإسلامية فى كثير من بقاع الأرض وخاصة في ماليزيا. وقد اتفق كثير من الباحثين المسلمين على أن التصوف ورجاله وأصحاب الطرق الصوفية من أهم أسباب انتشار الإسلام السريع واقبال الناس عليه. ومن مناهجهم فى نشر الإسلام انشاء المدارس الدينية والمساجد والقرى العلمية، والتأليف والترجمة، ودعوة الملوك والشعوب إلى الاسلام والمشاركة فى النظام السياسى والاداري.

ومن أثار التصوف فى الدين والتقاليد الملايوية قراءة الأوراد أو الأذكار بعد الصلوات الخمس، والتهليل حيث يقام لمناسبة من المناسبات كثيرة، ومجلس البرزنجي حيث يقام من أجل الاحتفال لمولود أو مولودة.

كما أن المتصوفة في ماليزيا أيضا لهم أثارهم السلبية، ومن ضمن هذه الاثار السلبية تلك المشاكل التى يواجهها المسلمون فى ماليزيا مثل: طرق المتصوفة المنحرفة والتعاليم الدينية الضالة، بل تعتبر أخطر المشاكل لأنها تفسد العقائد وتجر الأمة الى الكفر والشرك والضلال؛ وإن التعاليم الضالة تنتشر كثيرا وراء اسم التصوف الإسلامي وأسماء الطرق الصوفية اللامعة مثل: القادرية، والنقشبندية، والأحمدية وغيرها.

ومن خلال الدراسة أيضا يمكن القول بأن علم التصوف من أهم العلوم الإسلامية التى اهتم بها معظم الملايويين منذ بداية وصول الإسلام وحتى يومنا هذا؛ وإن مؤلفات علماء العالم الملايوى كثيرا ما تجمع بين فنين أو ثلاثة فى كتاب واحد، مثل التصوف والفقه أو أصول الدين والتصوف والفقه معا. هذا إن دل على شئ فإنه يدل على أن

لدى علماء العالم الملايوي ميلا شديدا الى علم التصوف فى مؤلفاتهم، وقد ثبت أن بعض العلماء الملايويين قد اعتنق أكثر من طريقة صوفية وقام بالممارسة العملية لتلك الطريقة، بالإضافة إلى محاولة نشرها والدعوة إليها.